

أضواء البيان

@ 577 جاء في أهل بدر ، قوله صلى الله عليه وسلم : (لعل الله اطلع على أهل بدر فقال : افعالوا ما شئتم فقد غفرت لكم) مع أنهم لن يفعلوا محرماً بذلك ، ولكنه تكريم لهم ورفع لمنزلتهم . .

وقد كان صلى الله عليه وسلم يتوب ويستغفر ويقوم الليل حتى تورّمت قدماه ، وقال : (أفلا أكون عبداً شكوراً) . .

فكان كل ذلك منه شكراً لله تعالى ، ورفعاً لدرجاته صلى الله عليه وسلم . .

وقد جاء : (نعم العبد صهيب ، لو لم يخف الله لم يعصه) ، وهو حسنة من حسناته صلى الله عليه وسلم . .

أو أنه صلى الله عليه وسلم كان يعتد على نفسه بالتقصير ، ويعتبر ذنباً يستثقله ويستغفر منه ، كما كان إذا خرج من الخلاء قال : (غفرانك) . .

ومعلوم أنه ليس من موجب للاستغفار ، إلا ما قيل شعوره بترك الذكر في تلك الحالة ، استوجب منه ذلك . .

وقد استحسّن العلماء قول الجنيد : حسنات الأبرار سيئات المقربين ، أو أن المراد مثل ما جاء في القرآن من بعض اجتهاداته صلى الله عليه وسلم ، وفي سبيل الدعوة ، فيرد اجتهاده فيعظم عليه كقصة ابن أم مكتوم ، وعوتب فيه { عَيْسَ وَتَوَلَّى * أَلَمْ يَكُنْ لَهُ الْإِسْمُ } ، ونظيرها ولو كان بعد نزول هذه السورة ، إلا أنه من باب واحد كقوله : { عَفَا اللَّهُ عَنْكَ لِمَ أَذْنَتْ لَهُمْ } ، وقصة أسارى بدر ، وقوله : { لَيْسَ لَكَ مِنَ الْأَمْرِ شَيْءٌ } ، واجتهاده في إيمان عمه ، حتى قيل له : { إِنْ زَنْتَ لَكَ لَا تَهْدِي مَنْ أَعْصَيْتَ } ، ونحو ذلك . فتحمل الآية عليه ، أو أن للوزر بمعناه اللغوي ، وهو ما كان يثقله من أعباء الدعوة ، وتبليغ الرسالة ، كما ذكر ابن كثير في سورة الإسراء عن الإمام أحمد من حديث ابن عباس رضي الله عنهما ، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم (لما كان ليلة أُسري بي فأصبحت بمكة فطعت ، وعرفت أن الناس مكذبون بي ، فقعدت معتزلاً حزيناً ، فمرّ بي أبو جهل ، فجاء حتى جلس إليه ، فقال له كالمستهزء : هل كان من شيء ؟ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : نعم ، وقصّ عليه الإسراء) . .

ففيه التصريح بأنه صلى الله عليه وسلم قطع ، والفظاعة : ثقل وحزن ، والحزن : ثقل . وتوقع تكذيبهم إياه أثقل على النفس من كل شيء . والله تعالى أعلم .